بذلك، وما الداعي اليه؟ ونجيب انه اذا كانت الدعوة الى قيام تعاون وتنسيق، او حتى «تحالف» اردني ـ فلسطيني، ستفهم على انها تأييد لقيام محور جديد، فلا بأس في ذلك. وإذا كان هذا سيفهم انـه «على حساب» سوريا، مع انه لا ضرورة لان يكون كذلك، فلا بأس في ذلك ايضا. واسمحوا لنا ان نعرض ما لدينا في هذا الصدد.

عند الحديث فلسطينيا عن سوريا، ينبغي ان نميز بين مفهومين: سوريا ككيان سياسي ـ جغـرافي، وسوريا نظام حزب البعث، الحاكم فيها منذ اكثر من ٢٠ سنة. وفيما يتعلق بالمفهوم الثاني، اي سوريا الحزب، ـ والحديث هنا، مقتصر على حزب البعث في سوريا وحدها ـ لا بد من الاشارة، بادىء ذي بدء، الى ان هنالك بعثيين محترمين، «خواجات» و «اكابر» و «اولاد ناس»، بالمفهوم النضالي القومي طبعا، كانوا قد لعبوا في حينه دورا بالغ الاهمية، بل يمكن وصفه بانه «تاريخي»، في تأييدهم وتشجيعهم لحركة المقاومة الفلسطينية المتجددة في بداية طريقها خلال الستينات. وقد كان هذا الدعم والتأييد مهما في حينه الى درجة يشك معها فيما اذا كان بامكان تلك الحركة ان تتغلب على الصعوبات التي واجهتها مع بداية تكوينها، وتنطلق لممارسة مهامها لولا تلك المساعدة والتأييد اللذين قدمهما لها اولئك البعثيون المحترمون، الذين نكن لهم تقديرا عميقا. الا ان اولئك جميعا اختفوا اثر حركة حافظ الاسد «التصحيحية»، سنة ١٩٧٠، التي اوصلت الرجل الى قمة السلطة في دمشق، فرُمي بمعظمهم في سجون النظام الجديد، ومنهم من لا يزال هناك حتى يومنا هذا. ولعل هذه الطريقة الشرسة في التعامل مع رفاق الامس كافية بحد ذاتها للدلالة عن «نوعية» النظام الذي يرأسه حافظ الاسد وطريقة تصرفه وامكانات تعامله مع الغير.

ان نظام حافظ الاسد لم يغير شيئا، على حد علمنا، من اهداف حزب البعث العلنية وتطلعاته ومواقفه عامة، بل انه في بعض الحالات ربما اضاف اليها نحو الاحسن، وجعلها اكثر وضوحا. ولكن عدا عن ذلك، اي عدا عن اطلاق الشعارات الرنانة، فان هذا النظام، لاسباب مختلفة، انتهج عمليا مواقف مغايرة، لا تتفق ابدا مع سياساته المعلنة، بل انها في عديد من الاحيان تؤدي الى عكس المتوقع منها. ولا نستطيع هنا، بالطبع، ان نستعرض سياسة النظام الحاكم في دمشق على مختلف الاصعدة، لكي ندلّل على استنتاجنا هذا؛ ولذلك نكتفي فقط بمناقشة كيفية تعامله، او سعيه، لتحقيق الهدف السياسي السوري الرئيسي المعلن، والاخطاء القاتلة التي يرتكبها في هذا الصدد، لنقف على مدى تخلف ذلك النظام، كذلك على الاضرار التي يسببها للقضية العربية عامة.

لقد اعلنت سوريا، بزعامة السيد الرئيس حافظ الاسد، رئيس الجمهورية العربية السورية والامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي والقائد العام للقوات السورية المسلحة.. الخ، وذلك بعد ان فرَّ «الرئيس المؤمن» انور السادات من المعركة العربية المشتركة وراح يعقد الاتفاقيات المنفردة مع الاميركيين والاسرائيليين متخلياً عن العرب اجمعين، انها ستنتهج سياسة تهدف الى تحقيق «توازن استراتيجي» مع العدو الصهيوني، كشرط اولي لا بديل عنه لاي حل عادل لازمة الشرق الاوسط واستعادة الحقوق العربية. او، على الاقل، هكذا نفهم هذا الشعار. ولاول وهلة يبدو هذا الاتجاه منطقيا وواقعيا، وان كان لا يخلو ابدا، من سلبية. فمن يريد التعامل مع العدو الصهيـوني ايـاه حقيقـة، عليه ان يسعى الى تحقيق «تفوق استراتيجي» عليه، لا ان يكتفي «بالتوازن» معه، الذي لن يؤدي في النهاية الا الى عقد صفقات، قد تكون رابحة وقد تكون ايضا مشبوهة، وفق ميزان القوى القائم آنذاك. الا اننا، على الرغم من ذلك، على استعداد للاكتفاء